خادم الحرمين الشريفين والمبادرة الإنسانية(*)

بقلم:
فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

إنسانية المبادرة

يبدى، خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - اهتماماً خاصاً بفعاليات الحوار العالمية ومتابعتها، وأهمية مشاركة المملكة العربية السعودية في مثل هذه المناسبات لمواجهة التحديات الكبيرة في ظل الصراعات الدولية والظروف العالمية المتوترة.. ووضع خادم الحرمين الشريفين - أيده الله - بلاده ضمن الدول الرائدة في تفعيل الحوار الفكري والحضاري العالمي، من خلال دعم عملية الحوار سواء داخلياً أو خارجياً، حيث وافق على إقامة مركز دولي لتشجيع الحوار والتعاون الثقافي والتعليمي يحمل اسمه، يقام في بولندا؛ وتأتي هذه المبادرة لتؤكد مرات عدة على استمرار العمل بالحوار من أجل أمن البشرية وخلق أفضل الفرص الإيجابية في العلاقات بين الدول، وتعزيز الحوار الحضاري بين الثقافات والشعوب المختلفة، وإبراز الصورة الحقيقية لبلاده.

وفي هذا الخصوص، جاءت الكلمة/ المبادرة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز، التي ألقاها أثناء استقباله المشاركين في المنتدى السادس لحوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي الذي أقيم في مدينة الرياض في الخامس والعشرين من مارس ٢٠٠٨م؛ وحضّ الجميع على تذكّر ما يُجمع الجميع، والتأكيد على ماهو مشترك، ودعوته إلى التمسك بمفاهيم الأخلاق والأسرة، والعودة إلى الرّب عزّ وجلّ؛ فبهذا نتجاوز خلافاتنا ونقرّب المسافات بيننا ونصنع سوياً عالماً يسوده السلام والتفاهم ويصبح التقدم والرخاء غرساً نقطف ثماره جميعاً بإذن الله.

هذه المبادرة، قد عنونت لمرحلة جديدة للمملكة العربية السعودية، تستقبل بها آفاق القرن الواحد والعشرين، لا سيما وأن الحوار قد أصبح مشروعاً عالمياً؛ لتضيف بُعداً جديداً في تأسيس العلاقة بين أتباع الرسالات السماوية، والفلسفات الوضعية؛ لينطلق منها نحو تأسيس العلاقة مع أخيه الإنسان اعتماداً على القيم الإنسانية المشتركة في التراثيات الدينية والفلسفية.

واستطاعت تقديم منطق مقبول يجمع عليه أتباع الرسالات والفلسفات الوضعية، من خلال تأكيدها على القيم الإنسانية المشتركة واللازمة بدورها للعيش بأمان وسلام، تلك القيم تتوزع ما بين العدل والصدق والوفاء والإخلاص وصيانة الأسرة من العبث وحفظ كرامة الإنسان.

هذه المنظومة من القيم التي تضمنها الخطاب/ المشروع هدفت إلى محاربة الإفراط والتفريط معاً بالتركيز على قيم الحوار والتسامح والاعتدال والوسطية، والتعايش.

وهذه المبادرة، بما تضمنته من معطيات إنسانية، مبادرة جديدة تماماً على الساحة الإسلامية كما العالمية، لم يسبق للخطابات السابقة، سواء الدينية منها أو السياسية، أن تقدمت بمشروع مماثل لإصلاح العلاقات الإنسانية... في العصر الواحد والعشرين؛ فالحوار بين أتباع الرسالات وغيرهم واقع بكثرة في الأربعين سنة الماضية، ولكن الجديد في هذه المبادرة هو جملة أمور:

- رعاية خادم الحرمين الشريفين لهذه المبادرة، بعزيمة صادقة وبأفق منفتح وبإمكانات غير محدودة، أعطاها قوة وزخماً كبيرين، وهي بحق مبادرة فريدة في شكلها ومضمونها؛ لأن معظم الحوارات السابقة كانت بمنزلة ردود أفعال لمبادرات افتقدت الدعم والمساندة السياسيّين، أما هذه المبادرة فهي مبادرة إسلامية تصدّى لها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بعدما أزعجته الصورة المسيئة للإسلام والمسلمين في عيون الآخر، كما هاله وصول الأوضاع الخلقية

■ الحوار أصبح مشروعاً عالمياً لتأسيس علاقات دولية وفق قيم الأديان السماوية والمصالح الإنسانية.

في العالم خاصة فيما يتعلق بالأسرة والأطفال إلى درجة سيئة، وهو ما يستوجب العمل على تأكيد القيم الخلقية وأن يتعاون أتباع الرسالات والفلسفات الوضعية في هذا الاتجاه؛ كما هاله أيضاً نزوع بعضهم إلى افتعال حروب غير مبرّرة، وعدم تسوية قضايا دولية عادلة، ولجوء بعض القوى الدولية إلى رفع شعار الصراعات والصدامات الحضارية، وهو ما ينذر بتأجيج مشاعر الكراهية والعنف؛ وتعد هذه أولى المبادرات التي جعلت السياسة في خدمة الدين، والتعايش الإنساني المشترك.

• انطلاقها من المملكة العربية السعودية، قلب العالم الإسلامي النابض.. ذات المكانة الدينية والروحية في العالم، التي تحمل هوية ترتكز على عقيدة الإسلام ورسالته، كما تحمل دائماً رسالة التسامح والسلام والخير لكل الإنسانية، فهي مهبط رسالة الإسلام، وقبلة المسلمين، التي يتجه إليها خمس مرات في اليوم الواحد أكثر من مليار وخمسمائة مليون مسلم، وبها يُعقد أكبر اجتماع بشري خلال عام في موسم الحج ومواسم العمرات، كلها تنادي بالسلام والوئام والإيمان والتسامح.

• نجحت المبادرة في تأسيس مرحلة جديدة للحوار بوصفها فرصة نادرة لبداية جديدة لمسار الحوار الحضاري العالمي، حيث حقّقت المبادرة قفزة نحو المستقبل؛ لتتجاوز حوار الرسالات السماوية؛ لتصل إلى أصحاب الفلسفات الوضعية كافةً، كما حققت انتصاراً للحوار، لا سيما وأن المؤتمر سبقه مؤتمر لعلماء الإسلام، تباحثوا فيه حول نظرة مستقبلية وتقويم وضع الأمور في مكانها الصحيح، وأن الحضارات الأخرى تمتلك رؤى تجاه هذه التحديات التي تعصف بالجنس البشري برمته، وتشترك مع المسلمين في مسعاها إلى تقديم الحلول الناجحة لأزماته وتجاوز التحديات التي تواجهه، بما تمتلك من التجربة الإنسانية، كما أن الرسالات السماوية والفلسفات الوضعية المعتمدة تمتلك من المشترك الإنساني ما يدعو إلى الالتزام بفضائل الأخلاق، ويرفض مظاهر الظلم والعدوان والانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري والإضرار البالغ بالبيئة البشرية والإخلال بالتوازن المناخي؛ لذلك كان الحوار المعمق ضرورياً لاستثمار المشتركات الإنسانية في برامج عمل مشتركة تطوق المشكلات المعاصرة، وتحمي البشرية من أضرارها.

• أصداء التأييد الدولية المتزايدة، وتعامل العالم مع هذه المبادرة بجدّية؛ شكّلت انتصاراً لتحدي الحوار على المشككين والمزايدين؛ لأنها مبادرة مثّلت العالم الإسلامي كله بحكم المسؤولية والموقع.

• المبادرة تشكل فرصة عالمية كبرى لأتباع الرسالات والثقافات بمجموعهم لتأكيد مشروعية الحوار في مواجهة بعض المعارضين له والمتشككين في جدواه، وهذا يحدث لأول مرة.

• مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار العالمي لم تكن دعوة ضيقة بقدر ما كانت إنسانية واسعة المحتوى تركز على حاجات الإنسان الأساس، وتشدد المبادرة على القيم الإنسانية المشتركة في تراث الحضارات والثقافات الإنسانية الأخرى وفي سلوك أتباعها، وعن النماذج الإيجابية المشرقة في حضارتنا الإسلامية، حيث

التعايش المشترك، والتضامن والتراحم والتواد، وإبرازها لإشاعة روح الحوار والتسامح في الأوساط الاجتماعية العامة.

أثمرت المبادرة في سنتها الأولى عن تنظيم مؤتمرين عالميين في فترة وجيزة جداً، الأول عقد في مدينة مكة المكرمة خلال شهر جمادى الآخرة١٤٢٩هـ/ يونيو ٢٠٠٨م، الذي شارك فيه عدد كبير من العلماء والباحثين والدعاة ورؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية من مختلف مناطق العالم الإسلامي، ومن الجاليات المسلمة، وممثلين عن الجهات الإسلامية المهتمة بالحوار مع الحضارات والثقافات الإنسانية؛ أكدوا خلاله أن الإسلام يمتلك حلولاً ناجعة لتلك الأزمات، وأن الأمة المسلمة مدعوة إلى الإسهام مع غيرها في مواجهة هذه التحديات بما تملك من رصيد حضاري لا غنى للبشرية عنه.

أما المؤتمر الثاني، فهو (المؤتمر العالمي للحوار) في مدريد خلال شهر رجب ١٤٢٩هـ/ يوليو ٢٠٠٨م برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وحضور العاهل الإسباني، الذي جاء تواصلاً مع دعوة خادم الحرمين الشريفين واستجابة لنداء علماء الأمة الإسلامية له، بعقد مؤتمر عالمي للحوار يدعى له المعنيون بالحوار من مختلف أتباع الأديان والفلسفات.

إن القيم الحوارية التي أرساها خادم الحرمين الشريفين عبر الحوار الوطني، والحوار العالمي بين أتباع الرسالات والفلسفات الوضعية، تؤكد أن المملكة العربية السعودية التي تحمل رسالة حضارية ترتكز على عقيدة الإسلام ورسالته وبما تحمله دائماً من رسالة التسامح والسلام والخير لكل الإنسانية.

■ خادم الحرمين الشريفين أطلق مبادرته الإنسانية لما يراه من أوضاع غير أخلاقية وصراعات وحروب تسود العالم.

* هذا المقال في الأصل هو جزء من البحث الذي شارك فيه معالي الأستاذ فيصل ابن عبدالرحمن بن معمر المستشار في الديوان الملكي الأمين العام لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في الاجتماع الرابع لفريق الرؤية الاستراتيجية «روسيا والعالم الإسلامي» الذي عقدته الإدارة العامة للشؤون الإسلامية في وزارة الخارجية بعنوان: (مبادرة الملك عبدالله للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.. رؤية جديدة للعلاقات الدولية)، وذلك في المدة من (٢٧-٢٩ شوال ١٤٢٩هـ الموافق٢٧ -٢٩ أكتوبر ٢٠٠٨م).